مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار العشرون
المجلد (٦) العدد (٣)
٢٠٢٥ (١-٢١)

الأوهام السياسية لدى غوستاف لوبون

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

د. أسماء ضو عمران المزوغي
محاضر بقسم الفلسفة.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ١٩ أغسطس ٢٠٢٥م

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الاطلاع على فكر الفيلسوف والطبيب المؤرخ والمستشرق الفرنسي غوستاف لوبون Gustave Le Bon (١٨١٤م-١٩٣١م)، وفهم معالجته للأوهام السياسية وتداعياتها على حياة والأمم، من خلال تحليل الرؤية التي يطرحها، والتي كان لها انعكاسات على الإنسانية ، ومعرفة الخلفية العلمية التي كانت بمثابة المرشد له، وجاء هذا التحليل مرتكزًا على النقاط التالية: طرح لمحة تاريخية عن غوستاف لوبون وتكوينه المعرفيّ، أهم أعماله ومؤلفاته، ماهية الأوهام وأسباب حدوثها وانواعها، تأثير الأوهام السياسية في انحلال الأمم وانحطاطها .

الكلمات المفتاحية: غوستاف لوبون، الوهم، الأوهام السياسية، الجماعة.

Abstract

This study aims to see the thought of the philosopher ``historian doctor and French Orientalist Gustav Le Bonne (1814-1930) understanding his handing of political illusions and their repercussions on the lives of the nations , by analysing his vision which had repercussions on humanity , knowledge of the scientific background that served as his guide , this analysis was based on the following points Ahistorical overview of Gustav Le Bonne and knowledge composition, his most important work and compositions what are the illusions the reasons for their occurrence and their types influence political illusions in the dissolution and degradation of nations .

*** المقدمة**

الأوهام أساس أكثر حوادث الماضي العظيمة، لقد تعرضت الشعوب دائما لتأثير الأوهام، ويدلنا درس التاريخ درساً دقيقًا على أنه عبارة عن مساعي الأمم والشعوب في خلق أوهام وتبديد أخرى، فكانت في الماضي أوهامًا دينية، ثم أصبحت فلسفية وسياسية، فأقمت تلك الأمم المعابد

والتماثيل والهياكل والنصب التذكارية والدينية لخالقي الأوهام ومبدعيها، وباسمها تم قلب قارات العالم رأسًا على عقب، ولولاها لما كان الإنسان قادراً على الخروج من الهمجية البدائية، ولولاها لسقط في هذه الهمجية من جديد.

لقد كرس مُعظم الفلاسفة والمفسرين جهودهم بكل حماسة لتدمير الأوهام الدينية والسياسية والاجتماعية التي عاشتها الشعوب على مر الزمن والعصور، ومن أبرز هؤلاء المفكرين يحضر اسم غوستاف لوبون Gustave Le Bon (١٨١٤م-١٩٣١م) ، في الفكر الفلسفي السياسي المعاصر حضوراً نوعيًا حيث ظهر في عصر زادت فيه الحاجة لفهم حركة التاريخ وتطور المجتمعات وتدهورها ، حيث شهد غوستاف لوبون بعض أزمات الأنظمة السياسية ، والاضطرابات الحادة ، وحالة عدم الاستقرار السياسي التي اعقبت الثورة الفرنسية The Revolution French (١٧٨٩م -١٧٩٩م) ونهاية حقبة ثُلة من الأنظمة المتغيرة ، التي كانت مهيمنة على سدت الحكم في فرنسا آنذاك والأنظمة هي: " الإمبراطورية (١٥٣٤م – ١٨١٤م)، عودة الملكية (١٨١٤م– ١٨٤٨م)، الجمهورية الثانية (١٨٤٨م– ١٨٥٢م)الإمبراطورية الثانية (١٨٥٢م–١٨٧٠م)، الجمهورية الثالثة (١٨٧٠م– ١٩٤٠م) في خضم هذه الأحداث الكبرى إبان القرن التاسع عشر قضي غوستاف لوبون حياته ما بين تأليف الُكتب والدراسات التاريخية والاجتماعية والسيكولوجية والسفر والتجول ، فقد كان مُفكرًا عالميًا متعدد الاختصاصات ، شخصية مُثيرة للجدل في اطروحاته واحد العقول الفكرية التي أثرت في مثقفين سياسيين بارزين أمثال : فرانكلين روزفلت franklin Roosevelt – (١٨٨٢م – ١٩٤٥م) ، وبينتو موسيليني Benito mussolinl (١٨٨٣م – ١٩٤٥م) ، ونستون تشرسل Winston Churchill ١٨٧٤م -١٩٦٥م) ، شارل ديغول charles de Goulle(١٨٩٠م – ١٩٧٠م) .

تكمن أهمية آراء غوستاف لوبون في حقل فلسفة التاريخ، حيث قدم تفسيرا للانحطاط الأمم والحضارات ويعدّ مؤلفه المهور باسم " فلسفة التاريخ " والصادر في عام ١٩٣١م. وثيقة تاريخية تحليلية تفسر الأوهام السياسية، فقد خصص الفصل الخامس منه للحديث عن العناصر التي تنحل بها حياة الأمم وصنفها إلى اربعة عوامل رئيسية وهي: زوال المعتقدات، الأوهام السياسية، شأن الجماعات الحاضرة، اصطراع المبادئ الحديثة في المساواة وزياده التفاوت في الذكاء ، نظرًا لضيق مجال الدراسة ولأن الباحثة هنا بصدد تقديم قراءة فلسفية سياسية للأوهام السياسة لدى غوستاف لوبون، وقبل أن نسترسل في تقديم هذا الطرح. تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة وجوهرية تتعلق بموضوع الأوهام لديه، فنحن في هذه الدراسة لا نغفل بأن غوستاف لوبون في أغلب مؤلفاته قد تحدث بصورة متفرقة عن انواع متعدة من الأوهام – ففي مؤلفه "روح السياسة" تحدث عن الأوهام الاشتراعية، الأوهام الاشتراكية، الأوهام النقابية، وفى مؤلفه "اختلال التوازن العالمي " ذكر الاوهام الاعتقادية، وفي مؤلفه الآراء و المعتقدات تناول "الأوهام العلمية " وفي هذه الدراسة سوف نعقد مقارنات وتحليلات ونقاشات حول الأوهام مع التركيز على الجانب السياسي مجال الدراسة.

حيث تعكس الانشطة السياسية في وقت ومكان محددين القيم التي تتبعها المجتمعات، وتهتم بما يجب أن يكون عليه البناء السياسي لديها، وبالأهداف التي تسعى إلى

تحقيقها، وبالمثل التي تسودها، ذلك لأن المثل العليا تلخص تجارب متحررة من قيود الزمان والمكان ويؤثر في حدوثها الإنسان، رسخت و اصبحت رموز منظومة تتحكم في السلوك الإنساني مصدر العرف والعادات والتقاليد، فالوهم في رأى غوستاف لوبون هو الذي يهمين على المسار التاريخي ويقود المجتمعات كما سنعرف في متن هذا البحث بشئ من التفصيل – والأوهام السياسية تحدث بسب حدوث تغير كلى في المُثل السياسية العليا يتبعها صراع مرير عنيف في الأفكار والمعتقدات وضبابية في التصورات يضعف بسببها الإيمان، ويفقد المثل الأعلى المُحرك للصراع، حيث ينتاب المثل العليا صراع يكون مصحوبا بأوهام تكون قد تقادمت، تصطرع مع أوهام سياسية جديدة ينتج عنه انهيار القيم وسقوط المُثل وانحلال الأمم ، والدليل ان أحدث حدثت في بطون التاريخ مات في سبيلها ملايين البشر، حيث نالت يد التخريب مدن زاهرة وغابت عن الوجود ممالك وامبراطوريات عظيمة بسبب تلك الأوهام .

*** اهداف البحث**

هدف الدراسة الحالية: –

١– التعريف بغوستاف لوبون حياته، نشأته، وأهم مؤلفاته.

٢– بيان مفهوم الوهم لغةً واصطلاحاً.

٣– كشف النقاب عن أسباب حدوث الأوهام.

٤– التعرف على أنواع الأوهام.

٥– بيان مفهوم الجماعة شروط تكوينها، وخصائصها، نظام مراتبها، ومميزاتها.

٦– الوقوف على رأي غوستاف لوبون الذي يتناول الأوهام السياسية وتداعياتها على حياة الأمم.

*** اهمية البحث**

١– تكتسي هذه الدارسة أهمية كبرى تتجلى في كونها تتناول موضوعًا هامًا وحيوياً يتصل اتصالاً وثيقًا بواقع الأمم ومستقبلها وما تمر به من تغيرات من جراء وجود الأوهام السياسية والتي تسببت في انهيارها.

٢– يستمد البحث أهميته في تسليط الضوء على الأوهام السياسية حيث يتوقع أن تفيد هذه الدراسة في فتح المجال أمام دراسات مستقبلية تهتم بدراسة الأوهام.

٣– المنزلة العلمية التي حظي بها غوستاف لوبون في مجال فلسفات (التاريخ، السياسية، الحضارة) وتفرده بتناول الأوهام السياسية.

٤– الحاجة إلى بيان مفهوم الأوهام السياسية، ذلك لأهميتها، ولاسيما لم يسبق لأحد أن تناولها بالبحث والدراسة في مجال فلسفة السياسة.

*** منهجية البحث**

تبنت هذه الدراسة لمعالجة موضوع البحث المنهج التاريخي والمنهج التحليلي النقدي المقارن لأنها من المناهج الملائمة للتعامل مع مثل هذه المشكلات.

*** إشكالية البحث وتساؤلاته**

تتناول هذه الورقة العلمية قضية مهمة وجوهرية في مجال فلسفة السياسة تتمثل في استعراض الطرح الذي قدم له الفيلسوف والطبيب المؤرخ والمستشرف الفرنسي غوستاف لوبون حول الأوهام السياسية كأحد العوامل التي تتحل بها حياة الأمم وهذه الدراسة تقوم بطرح السؤال التالي: –

إلى أي مدى ساهم غوستاف لوبون في ابراز الأوهام السياسية وإيضاح تداعياتها على حياة الأمم ومنه تنبثق عدة أسئلة جزئية وهي: –

١- ما الوهم وما نوعه وما هي أسباب حدوثه؟ كيف نظر غوستاف لوبون للأوهام وما هي التصنيفات التي قدمها؟

٢- لماذا خصص غوستاف لوبون الأوهام السياسية دون غيرها من الأوهام التي قدم لها كعامل من عوامل انهيار الأمم؟

٣- كيف تطورت حياة الجماعات وما هي خصائصها ومواصفاتها؟

٤- كيف تسببت الأوهام السياسية في انحطاط الأمم وانهيارها

*** غوستاف لوبون- النشأة والاعمال**

أولاً: التعريف بغوستاف لوبون وتكوينه المعرفي

ولد الفيلسوف الطبيب وعالم الأنثروبولوجيا وأحد أشهر المؤرخين المستشرقين الفرنسيين شارل ماري غوستاف لوبون [1](غربال ، ١٩٥٩ م، ص ١٥٦٨) Charles Marie Gustave Le Bon يوم(٧مايو١٨٤م) حسب شهادة الميلاد الموجودة في أرشيف بلدية نوجون لوروتو Nogent – le – Rotou الواقعة إلى الجنوب الغربي من باريس .

نشأ غوستاف لوبون في هذه المدينة مع أبوه السيد / جان ماري تشارلز لوبون، والسيدة أنيت جوزفين يوجينيك حيث تلقى تعليمه في مدرسة lycee de tours الابتدائية وبعد تخرجه من المدرسة الثانوية التحق بكلية الطب في باريس وهناك حصل على شهادة الدكتوراه في الطب في عام ١٨٧٠م تولى رئاسة الأطباء العاملين .(Marpeau,2000,p33 ,p23)[2].

في احدى قطعات الجيش الفرنسي في باريس، أثنا حدوث نزاع بين فرنسا وألمانيا ما بين عامي (١٨٧٠م- ١٨٧١م). وكان يتمتع بروح فضولية تهتم بكل شيء، إلى جانب دراسته للطب، عكف على دراسة علم النفس وخاصة الاجتماعي، و لم يقتصر نشاطه على هذا المجال فحسب، بل أن له انتاج غزيرا في مجال علم الآثار والانثروبولوجيا. وكان يكتب في كل مجال يطرقه. وينشر مقالاته وابرازها المجلة العلمية التي نشرت له أكثر من خمسين وثلاثين مقالة شرع فيها من سنة ١٨٨١م إلى غاية سنة ١٩٠٧م [3](Marpeau, 2000, p46).

لقد أصاب غوستاف لوبون شهرة كبيرة بفضل أتساع ميادين اهتماماته الفكرية، واهتمامه بالكتابة والتأليف كان يعقد اتصالات مع الجمعيات ذات الطابع العلمي، وله مراسلات وتقارير علمية كان يوجهها إلى المؤسسات المهتمة بالثقافة والعلوم، مثل اكاديمية العلوم (Academedes sciences) في فرنسا، وبلغ مجمل هذه المراسلات ما يربوا عن خمس واربعين مراسلة علمية. [4](https//://Search.emarefa.net)

ومما هو جدير بالذكر أن غوستاف لوبون كان كثير الترحال شعوفًا باكتشاف أسرار الحضارات العظيمة التي اثرت في البشرية ففي عام ١٨٨٠م قرر الذهاب في جولة استكشافية إلى أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا؛ وذلك للاطلاع على ثقافات الشعوب وطريقة حياتها وأنماطها، والف خلالها سلسلة من كتب الاسفار " الرحلات "تحدث فيها عن رحلاته وتجاربه في كل مكان زاره وبالإضافة إلى ذلك كتب في علم الآثار. وانخراط في الجمعية الجغرافية La

(1) غربال، ١٩٥٩ م، ص ١٥٦٨

(2) Marpeau,2000 ,p45

(3) Marpeau, 2000, p45

(4) https//://Search.emarefa.net

geographi sociétede . (الشقيري، ٢٠١٩، ص ٣٢).[5]

وفي عام ١٨٨٤م عاد من معرض الانثروبولوجيا " علم الإنسان " ، إلى الهند فقد كلف من فرنسا بدراسة عن الآثار البوذية، وبسب الاكتشافات . الكثيرة التي انجزها جعله نشاطه هذا شخصية مرموقة وآهله للمشارك في الحياة الثقافية والعلمية في فرنسا ، و من ذلك كان يشرف على تنظيم مأدبة في مترله ، تقام شهريًا بمشاركة يتودول أرمان ريبو (١٨٣٩م-١٩١٦م) Theadule Armand ribot ، حيث يتلقى فيها رجال العلم والسياسة ، و لم يتوقف عن الإنتاج الفكري حتى في أصعب سنوات الحرب العالمية الأولى ، قد وضع غوستاف لوبون لنفسه مكانًا مميزًا في الفكر العربي ، ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرون، وتوفي في (شهر ديسمبر من عام ١٩٣١م) في مارنية لاكوكية Marmes- la – coquette الواقعة غرب العاصمة الفرنسية (Marpeau, 2000,)[6] p45.

ثانياً: أهم مؤلفاته

لقد اخرج غوستاف لوبون العديد من الدراسات الجادة العميقة، ومنها على سبيل المثال: -

(الإنسان والجماعات١٨٩٨م) (حضارة العرب١٦٨٤م) (حضارة الهند١٨٨٧م) (الحضارات الأولى)، (السنن النفسية لتطورالأمم١٨٩٤م)، (سيكولوجيا الجماهير١٨٨٥م)، (روح الجماعات١٨٩٥م) (روح الاشتراكية١٨٩٤م)، (روح التربية١٩١٧م) (روح السياسة١٩١٠م) (الآراء والمعتقدات١٩١١م) (الثورة الفرنسية وروح الثورات١٩١٢م)، (حياة الحقائق١٩١٤م) ،(فلسفة التاريخ ١٩٣١م)، وغيرها من الكتب والمقالات المتعددة، [7] (الشقيري ، ٢٠١٩ ، ص٤١. ص٤٥)، كما صدرت دراسات عن آراء (غوستاف لوبون) وافكاره بعد ان أصبحت له مكانة مرموقة، لأنه شخصية عامة فقد طغت في الآفاق ، حتي إن تيودور روزفلت Todore Rooseve (١٨٥٨م-١٩١٩م) رئيس أمريكي سابق كان كثيرا ما كان يردد على الاسماع بأن كتاب السنن النفسية لتطور الأمم هو من اهم الكتب التي الفها غوستاف لوبون ، و لم يكن يفارقه ابدًا، و لقد أصاب غوستاف لوبون شهرة كبيرة في حياته وبمجرد وفاته الفه النسيان، قد يكون سبب الاقصاء له صلة بما حدث في بداية القرن العشرين، ومن ظهور أحزاب سياسية حاملة لأفكار متطرفة اكسبته سُمعة سيئة في أوروبا مثل الفاشية والنازية ، ومن المحتمل ان يكون اقطاب هذه الأحزاب قد تأثروا بفكر غوستاف لوبون، خاصة ما جاء في كتابه سيكولوجيا الجماهير، ومن اهم الأسباب التي قد تكون ساهمت في تهميش غوستاف لوبون، أنه برجوازي وكان ضد الثورة الاشتراكية الصاعدة آنذاك كما سنعرف لاحقا عند دراسته الأوهام الاشتراكية لديه.[8] https//://Search.emarefa.net

*** تعريف الأوهام أسباب حدوثه، أنواعها**

أولاً: تعريف الوهم لغة واصطلاحا

أ- تعريف الَوهَم (Illusion) لغة: وردت كلمة (وَهَمْ) في اللاتينية(delusio) والفرنسية (Illusion) والانجليزية(Illusion) (البعلبكي ، ١٩٩٦م ص ٤٤٨)[9] وفي العربية جاء في مادة (وهِم) من خطرات القلب

(5) الشقيري، ٢٠١٩، ص ٣٢.
(6) الشقيري، ٢٠١٩م، ص٣٢.
(7) الشقيري، ٢٠١٩، ص٤١. ص٤٥
(8) https//://Search.emarefa.net
(9) البعلبكي، ١٩٩٦م ص ٤٤٨.

[10] (صليبا ، ١٩٨٢م ، ج١، ص ٥٨٣) إي ما يقع فيه من الخاطر، والجمع أوْهَامٌ ، للقلب وَهْمُ وتَوَهَّم الشيء : تخليه تمثله كان في الوجود أو لم يكن .وقال توهمت الشيء تَفَرستُه وتوسمته و تَبَينتّهُ بمعنى واحد، ويقال تَوهْمتُ في كذا وكذا، أي غلطْت [11](ابن منظور ، ١٤٦٢و.ر-١٩١٤م ، ص٤٥٩) وأَوهَمْتُ الشيء تركته كله ، وأَوْهَمَ في صلاته أي أسقط من صلاته شيئًا(مجمع اللغة العربية ، ٢٠٠٥م، ص١٠٨٤)[12] وهَمْتُ إلى الشيء إذا ذهب قلبك إليه وانت تريد غيره . ووهمت الشيء وقع في خلدي، [13] (ابن منظور، ١٤٦٢و.ر-١٩١٤م ، ص٤٥٩) وقال أوبوالبقاء هو يسبق الذهن إلى الشيء[14] (الزمخشري ،١٣٩٩و.ر١٩٨٣م، ج٣، ص٣٤٧) تَوَهَمْتُ أي ظَنَتُ ، ومعني الوهم أنك تريد الصواب فتسلك مسلكاً مجانباً له وأنت لم تقصد (الزبيدي، ١٤٠٦و.ر-١٩٨٥م،٦٤ ص .[15]

ب- تعريف الَوهَم (Illusion) اصطلاحا: لا نجد تعريفاً واحد لمصطلح الوهم يتفق عليه العلماء والباحثون؛ ويعود ذلك إلى أن كل باحث يسمى مصطلح الوهم بمسمى عصره وما يسود فيه من أفكار واتجاهات ومن هنا يتعذر الاتفاق على تعريف واحد جامع مانع له. حيث عرفه الجرجاني في كتابه التعريفات بأنه: " القوة جسمانية للإنسان محلها آخر تجويف الأوسط من الدماغ من شأنها أدراك المعاني الجزئية المتعلقة بالمحسوسات".[16] (الجرجاني، ١٩٨٥م، ص٢٧٦) ، وعرفه اندريه لالاند في موسوعته الفلسفية بأنه : " كل ضلالة سواء ضلالة إدراك ام ضلالة حكم أو استدلال عقلي ، شرط ان تكون قابلة للاعتبار كظلالة طبيعية ، بمعني أن الذي يرتكبها يكون مخدوعا بمظهره..." "[17] (لالاند، ٢٠٠٨م ، ج٢،ص٢٧٦) .

كذلك عرفه الخازن في مؤلفه مصطلحات علم النفس بقوله: "الوهم أن يتخيل المرء شيئا يرمز إلى موضوع ماله قوة الحلول محل هذا الموضوع ..." [18] (الخازن، د.ت، ص٥٥) ، وعرفه جميل صليبا في معجمه الفلسفي بقوله : " الوهم يطلق الوهم على كل خطأ في الادراك أو الحكم أو الاستدلال شريطة أن يطن انه خطأ طبيعي ، وإن وقوع المرء فيه نأشي عند انخداعه بالظواهر، فنقول أوهام الحواس، والوهم بوجه عام يقابل الهلوسة Hallucinations وهو معطيات الإحساس - فإن الفارق هو عدم وجود مؤثر خارجي في الهلاوس - كما ينظر إلى الخشبة الطافية فوق الماء فيحسبها غريقاً ، أو الحشرة الصغيرة الطائرة بالقرب من عينيه فيحسبها طايرا كبيرا . والوهم والقوة الوهمية (fictitious force) عند القدماء أدراك المعني الجزئي المتعلق بالأمر المحسوس ، ومرتبته في التجريد أعلى من مرتبة الحس والخيال"[19]. (صليبا، ١٩٨٢م ، ج١، ص ٥٨٣) .

أيضاً عرف روزنتال يودين الوهم في موسوعته الفلسفية بأنه: " أدراك حسي مشوه للواقع، ونميز بين نوعين من الوهم نوع نشأ عن ظروف خارجية غير مادية يتم أدراك الأشياء فيها، وفي مثل هذه الحالات تؤدي الآليات

---

(10) صليبا، ١٩٨٢م، ج١، ص٥٨٣.
(11) ابن منظور، ١٤٦٢و.ر-١٩١٤م، ص٤٥٩
(12) مجمع اللغة العربية، ٢٠٠٥م، ص١٠٨٧.
(13) ابن منظور،١٤٦٢و.ر-١٩١٤م ،ص٤٥٩.
(14) الزمخشري، ١٣٩٩و.ر-١٩٨٣م، ج٣، ص٣٤٧.
(15) الزبيدي، ١٤٠٦و.ر-١٩٨٥م، ص٦٤.
(16) الجرجاني، ١٩٨٥م، ٢٧٦ص.
(17) لالاند، ٢٠٠٨م، ج٢، ص٢٧٦.
(18) الخازن، د.ت، ص٥٥.
(19) صليبا، ١٩٨٢م، ج١، ص ٥٨٣.

"الميكانيزمات الفسيولوجية " (أي الخاصة بوظائف الاعضاء) وظائفها على نحو طبيعي. والنوع الآخر يحدده الاداء المرضي لوظائف الآليات نفسيولوجية التي تشترك في عملية الادراك الحسي، كثير ما يشغل الفلاسفة المثاليون الوهم لحجة البرهنة على wأن إدراكنا الحسي للعالم الخارجي غير كاف. ولكن حقيقة أننا قادرون على ان نفرد الوهم كفئة منعزلة من الظواهر، وأن نضع هذه الظواهر في الجانب المعارض للادراكات الحسية السليمة – هذه الحقيقية نفسها تؤكد زيف النتائج اللاإرادية" [20]. (يودين، ١٩٧٤م، ص٤٨٨).

ثانياً: أسباب حدوث الأوهام

تعدد الأوهام بتعدد أسباب حدوثها، ولقد قدم لنا غوستاف لوبون عدة أسباب لحدوثها، فهو يقسمها إلى سببين رئيسين هما: –

١– السبب الأول: تقلبات الذاتية الفردية: يرى غوستاف لوبون أن ثبات الذاتية من المبادئ النفسية التي توشك أن تزول، ومما لا ريب فيه أنه كان بالإمكان ملاحظة ما يطرأ على طبع الفرد عينه من تقلب، وما يصدر عنه من عوامل حقيقية يوجب وصفه بكلمة (الاهوال عنه الغامضة) [21]. (لوبون، ١٩٥٤م، ص٤٢)

ويستطرد غوستاف لوبون وصفه لتلك التقلبات حيث يرى بأن الوهم حول الذاتيات الثابتة ، يقوم على الوهم حول ثبات الجسم الظاهر، وأن الذاتية الفيزيوية التي تصلح أن تكون إطار للذاتية الخلقية تتحول بشي من البط التوهمي بطابع من الثبات، وينشأ ثباتها الوهمي عن نقص في وسائل الملاحظة، وذلك لأن الفردية اليومية تختلف باختلاف الحوادث على حساب الموجودات التي يعاشرها البشر، وتعين نفسية هذه موجودات نفسية البشر، كما تؤدي تقلبات الجو إلى تقلبات مقياس الحرارة وفي ذلك يقول :"... ولم يعول جميع مؤسسي الأديان ، كبداهة (بوذا) وعيسى ، ومحمد ، الخ العالم إلا لأنهم انعموا على الناس بقدرة يبتدعون بها صوراً نفسية قريبة من التي تصدر عن الحقيقة... ما جعلت النفس مذبذبة بين شقاء دائم ونعيم جازم، كثيرا من الناس لبوا صوراً نفسية فضحوا بحياتهم نصراً لأوهام كانت تسيطر عليهم ". [22] (لوبون، ١٩٥٤م، ص٤٢).

ويتفق غوستاف لوبون هنا مع فرنسيس بيكون francis Bacon(١٥٦١م–١٦٢٦م) فيما يتعلق بتقلبات الذاتية ودورها في صناعة الأوهام ، حيث يرى بأن لكل أمرئ له بالإضافة إلى انحرافات الطبيعة الإنسانية يوجه عام – كهف خاص به يعوق ويشوه نور الطبيعة [23] (بيكون ، ٢٠١٦م، ص١٢٢) ، وتستدعى لغة بيكون هنا بلا شك أسطورة الكهف لدى أفلاطون حيث يرمز كهف افلاطون إلى أن النفس الإنسانية في حالتها الحاضرة أي خلال اتصالها بالبدن اشبه ما تكون بسجين مقيد بالسلاسل ، وضع في كهف ، وخلفه نار ملتهبة تضيء الأشياء ، وتطرح ظلالها على جدار أقيم امامه ، فهو لا يرى الأشياء الحقيقية ،بل يرى ظلالها المتحركة ،أي(الأوهام) فيظن أنها(الحقائق) [24] (أفلاطون، ١٩٢٩م، ص٢٨٧، ص٢٨٩)، وحاول فرانسيس بيكون الاستفادة من هذه الأسطورة، حيث اتفق مع افلاطون في عدة مواضيع خصوصاً فيما يتعلق بوصف أوهام الكهف وتأثيرها على

(20) يودين، ١٩٧٤م ، ص٤٨٨.
(21) لوبون، ١٩٥٤م، ص ٤٢
(22) لوبون، ١٩٥٤م، ص٤٢.
(23) بيكون، ٢٠١٦م، ص١١٢.
(24) أفلاطون، ١٩٢٩م، ص٢٨٧، ص٢٨٩

عقل الانسان، حيث يرى بأن كل فرد يعيش في كهف خاص ، يعترض ضياء الطبيعة ويشوهه، إن لكل فرد من البشر تكوينه الجبليّ الخاص وموروثه الجيني وثقافته التي نشأ عليها وجسدت . تربيته وظروفه وقراءاته وقدوته وصلاته الحياتية من الناس. فمنهم من يميل إلى ملاحظة الفروق بين الاشياء وتأمل التفاصيل ومنهم من هو أميل إلى ملاحظة أوجه الشبه بين الاشياء وهم أصحاب المزاج التأملي الاستدلالي، وكلا الصفين عرضة للشطط سواء بالتشابه بالفروق التافهة أو بخيالات التشابه، ويؤكد بيكون على ضرورة تركيز كل دارس للطبيعة النظر بارتياب إلى كل ما يفتن عقله ويأخذ بلبه حتى يحفظ خامنه صافياً متوازنا." [25] (بيكون، ٢٠١٦م، ص١١٢) .

ويورد فرنسيس بيكون إلى جانب هذه التأثيرات جُملة من العوامل النفسية والاجتماعية التي تشيد هذا الكهف، والذي من خلاله يستطع الإنسان الفرد أن ينظر إلى مجريات عالم الطبيعة فتقوم بتشويهها، ومن هنا يتسلل الوهم المعوق المعرفي الثاني إلى العقل، حيث إن الإنسان يضفي تصوراته الخاصة على الطبيعة بدلاً من أن يفسر الطبيعة كما هي، هذا الاضفاء للتصورات الخاصة على الظواهر الطبيعية، يشوهها ويحجب عنها المعرفة الصحيحة وهذا ما عبر عنه غاستون باشلار Gaston Bachelard. (١٨٨٤م-١٩٦٢م) بعقبة الذاتية بمعنى مادام لكل فرد كهف خاص به تحكمه جملة من الميولات والدوافع والاهواء، توجهه جملة من القيم الذاتية وفقاً لما يراه كل فرد كما قالت السفسطائية:" الإنسان مقياس الاشياء جميعا" (عويضة ، ١٤١٣و.ر، ١٩٩٣م) ص٣٨، ص ٣٩. [27] وإن الكهف الذاتي يجعل أحلام الإنسان ذاتية ، وهو ما ينتهي به إلى التعصب والتصلب الفكري وبالتالي حالة الجمود كما يشير كارل بوبر Karl popper (١٩٠٢م- ١٩٩٤م) إلى أن المعرفة تكون موضوعية إذا وجدت باستقلال تام عند حالة الذاتية لعقل الفرد حيث يقول :(المعرفة بالمعنى الموضوعي هي معرفة بدون عارف ،أنها معرفة بدون ذات عارفة [28]). (محمد علي، ١٩٨٥م، ص ٣٨)

ويستعرض غوستاف لوبون مصادر الذاتية حيث يصنفها الى عدة مصادر مختلفة وهي: -

أ- عنصر الاجداد المتنقلة بالوراثة.

ب- العناصر المكتسبة أو المفروضة من البيئة والتربية.

ويواصل غوستاف لوبون تدعيم مصادر الذاتية، إذ يتضح تصوره في إن تحولات الذاتية تنشأ بصورة يصاحبها تحولات نفسية عظيمة أثناء الانقلابات التاريخية كالحروب أو الثورات، ويمكن أن تظهر يفعل معتقد ديني قوي جداً أو بفعل أهواء شديدة كحب حياة المجتمعات مثلاً، أو تنشأ معظم الأديان تحولات مفاجئة في الذاتيات بالغة من الشدة ما يكفي المؤمنين تلك الأديان عن التضحية بحياتهم نصر لمثلهم الديني الأعلى. [29] (لوبون،١٩٥٤م ص٤٣)

٢- السبب الثاني: تقلبات الذاتية الجماعية: استهل غوستاف لوبون حديثه عن الذاتية الجماعية؛ وذلك باستعراضه دور التغيرات التي تطرأ على الذاتية، والتي تلعب دوراً عظيما في سلوك كثير من الملوك، وأكد على أن مثل هذه الانحطاطات تؤدي إلى مشاريع سامقة زينت تلك العهود حيث أكد على أن بعض الحركات الشعبية

(25) بيكون، ٢٠١٦م، ص١١٢
(27) عويضة، ١٤١٣و.ر، ١٩٩٣م، ص٣٨، ص ٣٩.
(28) محمد علي، ١٩٨٥، ص ٣٨.
(29) لوبون،١٩٥٤م ص٣٩

كالبلشفية في روسيا والشيوعية في فرنسا. [30] (الكيالي (٢٠٠١م) ص٢٢٣) على الخصوص ودعاة ممن تغيرت ذاتيتهم تغيرا عميقاَ بعوامل مرضية ، وتتمثل الذاتية القومية ذاتية جمعية ثبت أمرها بعوامل شتى وهي المعتقدات الدينية والأخلاق والعادات ألخ .... ، ويواصل غوستاف لوبون تدعيم الذاتيات الجماعية ويختتم حديثه بفكرة كرس جُل طاقته وقواه ليوضح من خلالها التباين بين مختلف العناصر التي تعين تاريخ أحد الأمم فيقول في ذلك :"...من بين العناصر التي تعين تاريخ احدى الأمم تحدد ذاتيتها القومية ، التي تنطوي على ذاتية قادتها وذاتية مقوديها، تعين مجرى مصيرها تعيناً وثيقاً[31] ..."(لوبون،١٩٥٤م ص٣٩ : ص٤٥)

ثالثاً: أنواع الأوهام

صنف غوستاف لوبون الأوهام إلى عدة انواع وهي:-

١- الأوهام الاشتراعية: [32] (لوبون، ٢٠١٦م ، ص٤٥، ص٣٥.ص٣٦)

يرى غوستاف لوبون بأن القوانين تنشأ بسبب العادة، حيث تتحول تدريجياً بفعل القضاء حسب الاحتياج إلى قانون يحمل عنوان مؤقت لحقوق تتجدد بلا انقطاع، فالحياة الاجتماعية لا ينتظم أمرها بمراسيم يقترحها الخيالىون، بل بتأثر مقتضيات الاقتصاد وأخلاق الشعوب.

وبالنظر إلى أهم الحوادث التاريخية يصور لنا غوستاف لوبون عللها البعيدة الصغيرة، والمرتبطة ببعضها البعض ارتباطاً وثيقاً، والتي تخرج لنا أكبر النتائج بواسطة تجمع تلك العلل، وهذه العوامل المعدودة والخافتة لصغرها، تتخذ اتجاهاَ واحد نحو جهة واحدة حسب نواميس دقيقة كالتي تجعل أحد الاجرام يسير على خط معين، أو كا التي تتحول، بها ثمرة البلوط إلى سنديانة.

وفي السياق نفسه قدم غوستاف لوبون مصدر القوانين والأوهام الاشتراعية، ورأى بأن الكثير من الحوادث السياسية تفصح على تفتح عدد قليل من المبادئ تلك المبادئ تأصلت في النفوس، من أشد هذه المبادئ تأثيراً سلطان القوانين المطلق، وهذا يفسر قوله: " ففي فرنسا جمهور كبير من الناس يزعم أنه تخلص من ربقة كل معتقد ديني، وأنه يجهد الآلهة ويستهزئ بالخرافات والأساطير ولا يخشى غير نبؤآت المنومين تنومياَ معناطيسياً.. ولكن لا شيء أصعب في فرنسا من مصادقة اناس يشكون ولو قليلاً في قدرة الدساتير والقوانين فكل منها يعتقد أن النصوص الاشتراعية قادرة على اصلاح حال الشعب الاجتماعية وأنها تستطيع إغناء الفقير على حساب الغنى والمساواة بين الناس في معايشتهم ونشر أولوية السعادة في العالم.

ويرجع غوستاف لوبون الأسباب التي دفعت الأمم ذات الأفكار الدينية النامية من البحث عن وسائل تعالج بها أمراضها الاجتماعية، أهم تلك الاسباب أن هذه الأمم لما ايقنت أن مطالبة الرب بالمعجزات لا تجدي نفعاً أخذت تطالب بها المشرعين، فأدخلت قدرة القوانين محل قدرة الآلهة. والفشل الذي أصاب القوانين التي سنت بمؤتمر شعبي لما ضعضع إيمان الناس بقدرتها، فقد حافظت على نفوذها الذي ضارعت به مذاهب الأديان، وهي كالآلهة تأمر دون أن تفسر ما تأمر، والأمر يفقد حرمته إذا فسر كما هو معلوم . [35] (لوبون ، ٢٠١٦م، ص.٣٨)

---

[30] الكيالي (٢٠٠١م) ص٢٢٣.

[31] لوبون، ٢٠١٦م ، ص٤٥.

[32] . لوبون، ٢٠١٦م ، ص٤٥ ص٣٥.ص٣٦. .

[35] لوبون، ٢٠١٦م ، ص٣٧

وهنا يتفق غوستاف لوبون في الإشادة بدور القوانين بسبب عجز الآلهة عن تحقيق المعجزات مع القديس أوغسطينوسAugustin Saint (تاغست٣٥٤م-هيبون ٤٣٠م) حيث نلاحظ أنه في أثناء حديثه عن أوهام الآلهة التي تحمي البلد، حيث يرى أنه من الخطأ تسليم المدينة لآلهة عاجزة عن حماية نفسها، وأن تاريخ الوثنية له نهاية أما تاريخ العناية الإلهية هي غائية التاريخ اين تتحقق السعادة الأبدية للأبرار من مواطني المدينة السماوية بينما الشقاء لأهل المدينة الأرضية الزمانية. وينقد أوغسطينوس أوهام الوثنية في تصورهم. أن التماثيل تحميهم حيث يقول في كتابه مدينة الله: "هل من الفطنة تسليم مدينة روما إلى أولئك الآلهة المنهزمين ليؤمنوا لها القهر" [36] (أوغسطين ،٢٠٠٦، ص ١٣) .

ويجزم غوستاف لوبون القول بأن القوانين تصلح المجتمع، بل اعتبر إن ذلك من أعظم الاغلاط التي سجلها التاريخ، فقد مات في سبيله عدة ملايين من البشر ميتة بؤس وشقاء ونالت يد التخريب كثير من المدن الزاهرة، وغابت عن الوجود دول عظيمة أو مع ذلك يحافظ الوهم الاشتراعي على سلطانه أكثر من أي وقت.

ويقسم غوستاف لوبون مراحل تكوين الحقوق إلى ثلاث مراحل هي: (العادة والقضاء والقانون) ولا تكون مرحلة المشترع مفيدة ألا في المرحلة الثالثة، إي في مرحلة القانون، اما العادة تنشأ عن مقتضيات الاجتماع اليومية صناعية كانت ام اقتصادية يعينها والقانون يؤيدها، وما يؤيده القانون وهو طور الحال الاجتماعي. ولما كان لنشوء الحضارات. أسرع من نشوء القوانين فالقضاء يتدخل ليعدل هذه حسب ما تفتضيه العادات الجديدة.[38] (لوبون، ٢٠١٦م ، ص٣٨).

٢- الأوهام الاعتقادية: بحث غوستاف لوبون عن مصادر النظرية الثورية التي تزعزع أركان العالم ، ووصل إلى نتيجة مفادها أنه يوجد وراء تلك الاشكال المختلفة ، من النظريات كالشيوعية والاشتراكية والنقابية نظرية انتشار العمال بالحكم وإليها ، فالأوهام الاعتقادية من وجهة نظره سرية مشتركة بين جميع تلك الأشكال، وبعض المزاعم والظنون المتحد بعضها مع البعض الآخر حيث يقول غوستاف لوبون هنا : " ... ان العامل لما كان يعتقد بأنه أجدر من أهل الطبقة الوسطى بإدارة شؤون الحكومة و المشروعات الصناعية فهو يرى من واجبه أن يحتل مكان رجال الطبقة كما هو جارٍ في روسيا ..."[39] (لوبون ، ٢٠١٦م ، ص٣٩). أما العواطف التي ترتكز عليها النظريات الجديدة فهي في فئة الزعماء طمع وتوق عظيم للقبض على زمام سلطة يجرون من ورائها مغنماً. وأما الفئة الساذجة المندفعة وراءهم التي تدين بنظرياتهم وهي مقت التفوق المتولد من الحسد بأنواعه. أن الشعوب التي تنكر بأن الضرورات الاقتصادية تترك زمام أمورها عندئذ في يد أوهام تصوفية أو حسية صامدة عن الشعور الباطني. وهذه الأوهام غريبة جداً عن الحقائق، ومن شأنها أن تولد انقلاباً وتقلقلاً عميقين يقول (داه كلرات) في فاتحة مؤلفه المشهور الذي دعاه لحديث عن (الطريقة):" ان العقل السليم هو الشيء الذي أحكمت الطبيعة توزيعه وتقسيمه في العالم أكثر من أي شيء آخر، لأن: كل فرد يخال أنه قد نال من العقل السليم قسطًا هو من الوفرة. بحيث أن الذين هم أعسر الأنام

[36] أوغسطين، ٢٠٠٦م، ص١٣.
[38] لوبون، ٢٠١٦م، ص٣٨
[39] لوبون ،٢٠١٦م، صر٣٩

قناعة واكتفاء. وأي شيء من الاشياء الأخرى لا يخطر ببالهم قط عما عندهم..." [40] (لوبون، ٢٠١٦م، ص٣٩.)

ويتفق غوستاف لوبون في حديثه عن الأوهام الحسية التصوفية مع الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت Rene Descartes (١٥٩٥م-١٦٥٠م) [41] (الحلو، ١٤١٢و.ر-١٩٩٢م، ص٤٥١) حيث فسر الأوهام الحسية التصوفية عندما تناول قواعد المنهج حيث قال في معرض تفسيره للقاعدة الأولى ، والتي تعبر عن الشك الديكارتي أثنا تحليله لتأملات : " مضت عدة سنوات منذ أن لاحظت أن كثيرًا من الأشياء الباطلة كنت اعتقد أبان شبابي أنها صحيحة، ولاحظت أن الشك يعتور كل ما أقمته على أساس هذه الأمور الباطلة، وأنه لا يدا أن تأتي لحظة في حياتي أشعر فيها بأن كل شيء . يجب ان يقلب رأسًا على عقب تمامًا. " [42] (بدوي ، ١٩٨٤م ، ص٤٩٢) .

ويستمر رينيه ديكارت في توكيده للشك في موضع آخر فيقول: " أنني أفترض أن كل الأمور التي أشاهدها هي باطلة، وأقنع نفسي بأنه لم يوجد شيء مما تمثله في ذاكرتي المليئة بالأكاذيب واتصور بأنه لا يوجد عندي أي حس، وأعتقد أن الجسم والشكل والامتداد والحركة والمكان، ليست إلا تخيلات من صُنع عقلي فماذا عسى أن يعد حقيقًا، ربما أنه لا شيء في العالم اليقينيّ ." [43] وفي موضع آخر يستمر دىكارات في طرح تساؤلات جمة عن الأوهام فيتسأل اين الوهم ، وأين الحقيقة فيما يراه هو ، وماذا يقول الآخرون، إين الواقع ،إين الوهم ، يخصص في ذلك وجوده هو الذي[44] (بدوي، ١٩٨٤م، ص٤٩٢).

يتغير كل لحظة، وما هو الشيء الباقي وما هو الشيء المتغير، في حال كل يحتل في صيرورته كل مواقع التغيير.

٣- الأوهام الاشتراكية: أن مقاصد الاشتراكية القضاء على التفاوت الطبيعي بالتسوية بين الناس في المعايش حسبما يرى غوستاف لوبون ولكي تصل الاشتراكية إلى الغاء الملكية وثروة الأفراد يشترط غوستاف لوبون أن تدار الصناعات من قبل الحكومة، وذلك لأن هذا المذهب يعد من مظاهر التراع الأزلي بين الغني والفقير بين القوي والضعيف.[45] (لوبون، ٢٠١٦م ، ص١٣٧)

وبهذا الحديث استطاع غوستاف لوبون أن يؤسس فكرته عن مقاصد الاشتراكية، وقد اجاز لنفسه أن يخوض في طرح مزايا التفاوت الطبيعي بغية الوصول إلى الاشتراكية وليسوغ فكرته عن الأوهام الاشتراكية ، وبذلك ينفق هنا مع كارل ماركس Marx Karl (١٨١٨م-١٨٨٣م) والذي حدد مراحل الوصول إلى الاشتراكية، حيث اشترط الا يتم ذلك الا من خلال أربع مراحل ، وإن الانتقال من المجتمع الرأسمالي إلى المجتمع الاشتراكي اللاطبقي لا يتم بين يوم وليلة، إذا أن هذا الانتقال يجب إن يجرى على اربع مراحل كما سبق وأشارت الباحثة في مستهل هذه الفقرة – أول تلك هي المرحلة الثورية العنيفة، وديكتاتورية البروليتاريا إلى الكمون، وأخيرًا للشيوعية والتي تسمح بالتوزيع المتساوي للمنتجات، والتنظيم الحر للمجتمعات لكن بحسب حاجاتها، وهذه النتيجة التي وصل إليها ماركس، هي كذلك مطلب غوستاف لوبون ذلك لان الصفة الرئيسية للاشتراكية هي الحقد على جميع الافضليات جميع الافضليات والسيادة على انقاض المجتمع

(40) لوبون، ٢٠١٦م، ص٣٩ر.
(41) الحلو، ١٤١٢و.ر-١٩٩٢م، ص٤٥١.
(42) بدوي، ١٩٨٤م، ص ٤٩٢
(43) بدوي، ١٩٨٤م، ص٤٩٢
(44) بدوي، ١٩٨٤م، ص٤٩٢
(45) لوبون ، ٢٠١٦م ، ص١٣٧.

الشائخ ، وإقامة مجتمع جديد ينال فيه كل فرد وكل الناس السعادة الابدية .[46] (ماركس، ١٩٧٥، ص٩٦).

وأهم سبب في نجاح الاشتراكية وفق غوستاف لوبون هو ظهورها في وقت يفكر فيه الإنسان بآلهته القديمة باحثاً عن آلهة أخرى، فالإنسان لا يقدر على العيش من غير دين، أي من غير أمل. ولا فرق. بين الطبقات الاجتماعية كلها من هذه الجهة، فإذا كفرت الطبقات بالآلهة فلتؤمن بالأصنام، وبهذا يفسر سبب انتشار الاشتراكية بين الخواص كانتشارها بين العوام، حيث أنها تنتشر بما تبذره في النفوس من أصل ديني في جنان دنيوية يتمتع فيها جميع الناس بسعادة سرمدية.

ويستأنف غوستاف لوبون وجهة نظره فيطرح أوجه الشبه بين النصرانية والاشتراكية فيقول بهذا الصدد: " إن نصرانية الأجيال الأولى التي نرى بينها وبين الاشتراكية شبهاً كبيرا عامل نجاح لا يوجد في الثانية، فالنصرانية تقول بثواب في جنات الآخرة، واما الاشتراكية فيما أنها تعد منذ ستين سنة بسعادة دنيوية لم تتحقق بعض تضعضع يقين الناس بها، واخذ يحل محلها المذهب النقابي الجديد الذي لا يدانيها في الوهم والخيال .[47] . (لوبون، ٢٠١٦م، ص ١٣٧).

ويلخص غوستاف لوبون الأوهام التي تقوم عليها الاشتراكية الحكومية ويرجعها إلى النقاط التالية: – [48] (لوبون، ٢٠١٦م، ص ١٣٧).

١– إقامة مجتمع جديد بمراسيم تمليها الثورة.

٢– إلغاء رؤوس الأموال التي هي مصدر كل شر وشقاء لنشر اولوية السعادة العامة.

٣– استيلاء الحكومة على الأملاك والصناعات وإدارتها على يد جحفل من المواطنين وتوزيع المنتجات بواسطتهم على اعضاء المجتمع.

ويختتم غوستاف لوبون تحليله للأوهام الاشتراكية ويرى بأن أشد أوهام الاشتراكية هو حكمهم بالقضاء على الطبقة الوسطى مع أن كفاءة هذه الطبقة وذكاءها ورؤس أموالها أوجبت إرساء الصناعات التي يعيش العمال منها، فضلاً عن ذلك يفترض أن النصر لو تم للاشتراكية وبوشرت التسوية بين الناس في الأجور حينئذ نرى جميع أصحاب الذكاء يهاجرون إلى البلدان المجاورة حيث يستقبلون بحماسة إذ النبوغ يجزل لصاحبه الأجرة في كل مكان، وهكذا لا تظل الاشتراكية سائدة إلا لمجتمع مؤلف من أشخاص كثيري الانحطاط ، على أن الاشتراكية قصيرة الأجل بعد أن يتم النصر لها، فسرعان ما يسلم الشعب مقاليد الأمور إلى المستبدين منتقدين بحماسة ، ريثما تستقر الأحوال على هذا الوجه ، ويصيب البلاد مالا يتصوره العقل من سلب وتخريب . [49](لوبون ٢٠١٦م ،ص ١٤٠،ص١١٤١).

٤– الأوهام النقابية: اصبح تضامن المصالح المتجانسة سنة الجيل الحاضر وليس هذا التضامن وليد الصناعة الكبرى من وجهة نظر غوستاف لوبون ، بل أنها أوجبت نموه ،،فبنما تصير الأنظمة السياسية غير محترمة، يضعف المبدأ الوطني وتضمحل العقائد الموروثة، فبرز المبدأ النقابي ويعظم شأنه ليدخل في طور يوجب به حقوق جديدة حيث قسم غوستاف لوبون النقابة إلى شكلين مختلفين باختلاف الأمم وهما : النقابة السلمية والنقابة الثورية ، فالأولى تشاهد عند

(46) ماركس، ١٩٧٥، ص٩٦.
(47) لوبون ٢٠١٦م، ص ١٣٧.
(48) لوبون ٢٠١٦م، ص١٣٩.
(49) لوبون ٢٠١٦م، ص ١٤٠، ص١٤١. .

الانغلوسكسونيين الذين لا تهتم نقاباتهم بغير المصالح الاقتصادية ولا تعرف منازعات الطبقات وتشاهد الثانية. عند الأمم اللاتينية التي أصبحت نقاباتهم فوضوية لا هم لها. سوى تقويض المجتمع، وحتى تثور الشعوب على قوانينها لا بد أن تكابد اهواء بعض الظلمة المستدين الذين يظهرون أيام الفوضى. ويزيد الخصام بين النقابية الثورية والاشتراكية الحكومية، ولا فرق في فساد هذين المذهبين، ولربما كانت النقابية أخف وطأة من الاشتراكية الحكومية لتأديتها إلى تأليف طوائف صغيرة متوازنة . [50] (لوبون ، ٢٠١٦م ، ص ١٤٥،ص١٥٠.)

٥- الأوهام السياسية: يستهل غوستاف لوبون حديثه عن الأوهام السياسية فيرى بأن الانقلابات العظيمة التي تتقدم تطور المدينة في الأمم. مثل سقوط الدولة الرومانية وقيام الدول العربية الناشئة عن تطور سياسي عظيم كأغارة الأمم بعضها على بعض أو سقوط الأسر الحاكمة، هكذا بإمعان النظر في هذه الحوادث يتبين أن وراء أسبابها الظاهرة في الغالب سبباً حقيقياً هو التغير الكلي في أفكار تلك الأمم فليست التقلبات السياسية الحقيقية الكبرى هي التي تدهش الباحثين بعظمتها وعنفها، أنها الانقلاب الصحيح في الأفكار والتصورات والمعتقدات والحوادث العظيمة الخالدة في بطون التواريخ ليست الا آثار ظاهرة لتغير خفي في أفكار الناس، ولهذا التطور (عاملان أصليان).[51] (لوبون، ١٩٠٩م ، ص٩.ص١٠).

١- الأول: تهدم المعتقدات الدينية والسياسية والاجتماعية التي تكون عناصر المدنية الحاضرة.

٢- والثاني: قيام أحوال جديدة ونشوء أفكار جديدة في الحياة توالت كلها الاكتشافات العصرية والعلمية، لما كانت تهدم الأفكار القديمة، فلم يتم فلم تزل قوتها وكانت الأفكار ستحل محلها في دور تكونها والزمن الحاضر زمن تحول وفوضى.[52] (لوبون ،١٩٥٤م ، ص١٣٧).

وبهذا الصدد يقدم غوستاف لوبون تصوراً للأوهام السياسية حيث يقول: " يظهر الصراع بين مختلف المثل العليا في المرتبة الأولى من عوامل انحلال حياة المجتمعات ... أن المثل العليا القادرة على توجيه الشعب لا تدوم في كل وقت، فهي تخسر سلطانها على النفوس في آخر الأمر على الخصوص لما تعود غير ملائمة. للضرورات ناشئة عن تطور العلم باستمرار. وتولدها أوهام جديدة تصطرع مع الأوهام الماضية التي حافظت على نفوذها بفعل الوراثة، فقد قلب هذا الصراع النفسي أوربة منذ ١٥٠ سنة " [53] (لوبون ،١٩٥٤م ، ص١٣٧)

ويعتبر غوستاف لوبون أن صراع المثل هو السبب الرئيسي في حدوث الأوهام السياسية ، ذلك لأن كل امة لا يشترك أفرادها في الميل والمصالح ولا يدينون بمعتقدات مماثلة ليست سوى غبار مشكلا من أشخاص لا رابطة بينهم ولا بقاء ولا قوة لهم ، فالرابطة التي تخرج من ظلام الهمجية إلى نور المدنية تحصل بتقبل أفراد الشعب لأمثلة عليا واحدة ، كذلك والشعب بسعيه وراء مثل اعلى يستطيع التأثير على الأرواح يحيا حياة سعيدة ، وإذا ما ضعف الإيمان بهذا المثل الاعلى يبتدئ ذلك الشعب بالتقرب من الاضمحلال ، فانحطاط روم) بدأ منذ الزمان الذي لم يعد الرومانيون

(50) لوبون، ٢٠١٦م ، ص ١٤٥ .
(51) لوبون، ٢٠١٦م، ص ١٤٥، ص١٥٠.
(52) لوبون ،١٩٠٩م، ص٩. ص١٠.
(53) لوبون ،١٩٥٤م، ص .١٣٧

يحترمون شرائعهم وآلهتهم ويقدسونها[54] (لوبون، ١٩٢٨م، ص١٠.ص١١) .

ويرجع غوستاف لوبون سبب حدوث الأوهام السياسية إلى حدوث نزاع بين فاتح ومستقل ينتج عنه موت الفاتح، وينتج عنه كذلك إعادة للنظم بعد ظهور الانقلابات الاجتماعية والتي تزعر المثل العليا وتصيب بلبلة في النفوس، وتنتج دويلات متنافسة راغبة في التوسع على حساب جيرانها ومُعدة لأوربا حروبًا جديدة، حيث تقسم النمسا إلى ممالك منفصلة بأسم مبدأ القوميات، مثالاً على الخطأ الذي يعترف بتطبيق مبدأ السيادة على ادوار التاريخ، ولا قيمة له في غير أدوار أخرى. كان ممكنًا أن يلجأ إلى مبدأ اكثر ملائمة الحاجات الجديدة، أي من أجمع الدول الصغيرة ضمن الدول الكبيرة، مما يدل دلالة واضحة على دور الأوهام السياسية تأثيرها الدائم أكثر مما تحققه فلسفة التاريخ وفقاً لنظر .[55]

. (لوبون، ١٩٢٠م ، ص٦ .)

*** تكوين الجماعات، نظامها، مميزاتها العمومية، خصائصها**

أولا: تعريف الجماعة وشروط تكوينها

لم يبق بين الأمم المتحضرة شعوب حقيقية بالمعنى العلمي، وان الموجود الآن هو أمم تاريخية تكونت بتأثير الفتوحات والهجرة السياسية لتكون أممًا مركبة من أشخاص مختلفي الجنس أصلاً ،وللكشف عن ظهور العرق والتعرف على طبقاته وعلاقاته بالوراثة واللاشعور لم يكن هدف في حد ذاته عند غوستاف لوبون لأن هذا المفكر لا يبحث عن الشروط التي تتحكم في الأمم، ولكن لأسباب منهجية اراد الكشف عن الآلية البيولوجية والفسيولوجية التي تعمل على تشكيل روح العروق وخصائصها ، فقام بتقديم تعريف للجماعة في كتابه "روح الاجتماع " حيث يقول: " الجماعات بالمعنى المتعارف : اللفيف من القوم مطلقً، وإن اختلفوا جنسًا وحرفة ذكورا كانوا أو إناث، وعلى أى نحو اجتمعوا . أما في علم النفس، فلها معنى آخر، ففي بعض الظروف يتولد في الجمع من الناس صفات تخالف كثيرا صفات الأفراد المؤلف هو منها، حيث تختفي الذات الشاعرة وتتوجه مشاعر جميع الأفراد نحو صوب واحد، فتتولد من ذلك روح عامة وقتية بالضرورة إلا أنها ذات صفات مميزة واضحة تمام الوضوح وحينئذ، يعيد من ذلك الجمع لفيفًا مخصوصًا، لم أجد لتسميته كلمة أليق من لفظ الجماعة المنظمة أو الجماعة النفسية، فكان اللفيف ذات واحدة، وبذلك يصير خاضع الناموس الوحدة الفكرية الذي تخضع الجماعات لحكمه.[56] (لوبون، ١٩٠٩م، ص٢٤.)

وبهذا الصدد لقد سبق غوستاف لوبون الكثير من الفلاسفة الذين تحدثوا عن الجماعة والتجمعات البشرية فأرسطو Aristotle(٢٨٤ ق.م – ٣٢٢ ق.م) يقول: " إن الإنسان بالطبع كائن اجتماعي ..." [57] (طاليس ، ١٩٧٩، ص٩٦) كذلك أبو النصر الفارابي Abo Alnasr Al Faribiu (٨٧٤م–٩٥٠م) الذي عبر عن حاجة الإنسان للاجتماع ففي كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة يقول: " كل واحد من الناس مفطور على أنه يحتاج في قوامه وفي أن يبلغ أفضل كمالاته...لا يمكن أن ينال الكمال...إلا باجتماعات جماعة كثيرة متعاونين ، يقوم كل واحد ببعض ما يحتاج إليه في قوامه وفي أن يبلغ الكمال..." [58] (الفارابي ، ١٩٨٦م ، ص١١٧.)، وابن

(54) لوبون،١٩٥٤م، ص ١٣٧
(55) لوبون، ١٩٢٠م، ص٦.
(56) لوبون، ١٩٠٩م، ص٢٤.

(57) طاليس، ١٩٧٩، ص٩٦.
(58) الفارابي، ١٩٨٦م، ص١١٧

خلدونAbn Khaldun (١٣٣٢م– ١٤٠٦م) يقول في مقدمته : "...أن الاجتماع الإنساني ضروري ..الإنسان مدني بالطبع أي لا بد له من الاجتماع.." [59] (ابن خلدون ، ١٩١٦م ،ص٤١.) صفوة القول وبناء على ما تقدم، فقد توصل غوستاف لوبون لمثل هذا الطرح وإن كان في زوايا مختلفة ولكن هذا التشابه قاده إلى استنتاجين مهمين وهما: –

١– الاستنتاج الأول: ان المجتمع يتكون من أشخاص لا يختلف بعضهم عن البعض الآخر إلا قليلاً: إذ لا يكون عندهم وقتئذ نفسية أخرى غير نفسية قبيلتهم، ولكن عوامل التطور والانتخاب لا تلبث أن تجرى حكمها فيتفاوت الناس بالتدريج، حينئذ يترقى بعضهم مسرعاً، والبعض الآخر متثاقلاً، وهكذا يتفاوتون في قطع مراحل الطريق الواحدة: [60](لوبون، ١٩١٢م، ص١١٥).

٢– والاستنتاج الثاني: يرى ان مجرد الاجتماع لا يكسب الأفراد صفة الجماعة، بل لا بد من أن تتوفر فيه عدة شروط وهي: – [61] (لوبون ،٢٠٠٦م ، ص٤٩–ص٥١) .

١– الشرط الأول: وهو ان لا تكون الشعوب المتوالدة مختلفة العدد كثيراً. والثاني ان لا يكون الفرق في أخلاقها كبير، الثالث ان تعيش زمنًا طويلاً تحت تأثير عوامل بيئية واحدة، والشرط الأول أهم الثلاثة. فإذا نزح عدد قليل من البيض وأقام بين الزنوج فني فيهم و لم يترك من دمه أثر في نسله هكذا فنى. الفاتحون الذين أقاموا في أمم كثيرة العدد وقد ترك اللاتينيون في بلاد (الغلو) والعرب في مصر حضارتهم وفنونهم ولغاتهم لكنهم لم يتركوا ودمهم.

٢– وللشرط الثاني من تلك الشروط كبير أهمية أيضا، وذلك أن مما لا مراء فيه إن التولد عامل تقدم إذا وقع بين عروق عالية متقاربة كالإنكليز والألمان في أميركة والتولد يكون عامل انحلال على الدوام إذا كانت تلك العروق متباينة جداً، ولو كانت من العروق العالية. والحاصل أنه يجوز أن تفقد الأمة شيئاً كثيرا من مشخصاتها، وأن تتناوبها محن كثيرة ثم تسترد قوتها وتنهض ثانياً ولكنها لا تقوم من رقدتها إذا اضاعت روحها وحتى مالت الحضارة إلى الذبول واصبحت فريسة المغيرين عليها من طريق الهدو والسلم أو عن طريق العنف والقوة في الأمة أخذ أثر التولد يظهر.

ثانياً: نظام مراتب العروق النفسي: [62](لوبون ،٢٠٠٦م، ص٤٩–ص٥١)

يقسم غوستاف لوبون الأمم من حيث صفاتها الأخلاقية إلى عدة أقسام وهي: العروق الابتدائية، والعروق الدينا والعروق الوسطي والعروق العليا.

العروق الابتدائية هي التي لا تجد فيها آثر للثقافة، وهي التي ظلت في الدور القريب من الحيوانية، والذي جاوزه اهل عصر المنحوت ويورد غوستاف لوبون أمثلة على تلك العروق يذكر الفيوجين والاستراليين.

العروق الدنيا: التي يعد الزنوج عنواناً لها على الخصوص، وفي هذه العروق، يوجد بصيص وحضارة، وهذه العروق لم تجاوز قط وجوه الحضارة الغليظة ، وإن ورثت حضارات راقية بفعل المصادفة. العروق الوسطى: تتمثل في الأمم السامية (العرب، والاشورية) والمغول والصينيون واليابانيون، حيث ابدعوا نماذج حضارات راقية لم يتجاوزها غير الاوربيين.

---

(59) ابن خلدون، ١٩١٦م، ص٤١ .
(60) لوبون، ١٩١٢م، ص١١٥ .(

(61) لوبون،٢٠٠٦م، ص٤٩-ص٥١ .
(62) لوبون ،٢٠٠٦م، ص٤٩-ص٥١

العروق العليا: وهذه الامم اثبتت قدرتها على الاختراعات العظيمة في الفنون والعلوم والصناعة ومنها الأمم الهندية القديمة والامم الأوروبية.

وهذا التقسيم الذي قدم له غوستاف لوبون يشبه التقسيم الذي قد له مورجان في تصنيفه مراحل تطور ما قبل التاريخ حيث قدم تقسيماً دقيقاً لمراحل حياة الإنسان في كتابه أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، الذي الفه فردريك انجلز و مورجان حيث يقول بهذا الصدد: "أما عن عصور التطور الرئيسية الثلاث وهي الوحشية والبربرية والمدنية فلم يهتم مورجان إلا بالعصرين الأولين وبالانتقال إلى العصر الثالث . ويقسم مورجان كل من هذين العصرين الى ثلاث مراحل، دنيا وسطى وعليا، ذلك لأن الجنس البشري هو مجرد كائنات اكتسبت سيطرة مطلقة على إنتاج الغداء، وقد تحددت العصور الكبرى حسب اتساع مصادر وسائل العيش، [63] (انجلز ، ص١٠ — ص١٢) يستطرد مورغان عرضه لتلك المراحل فيصنفها إلى : عصر الوحشية (المرحلة الدنيا): وهي طفولة الجنس البشرى، وفي هذه المرحلة كان الإنسان مازال يعيش. في الكهوف، و لم توجد في هذه الفترة البدائية أي من الشعوب التي عرفها التاريخ.

المرحلة الوسطي: وتبدأ باستخدام الإنسان الصيد حيث قلل من اعتماده على المناخ والظروف المحلية، بدًا في الانتشار في الجزء الأكبر من سطح الأرض .

المرحلة العليا: تبدأ هذه المرحلة باستقرار الإنسان في القرى واختراعه ادوات تساعده في الحياة مثل المصنوعات اليدوية والخشبية، والآلات الحجرية المصقولة.

ثالثاً: المميزات العمومية للجماعات وقانون وحدتها الفكرية النفساني

يتناول غوستاف لوبون مميزات الجماعات فيصنفها على النحو التالي:- ،[64] [65](لوبون ، ٢٠١٧، ص٣١.ص٣٨)

١-الصفات العامة للجماعات: هي الصفات التي تصدق على جميع أفراد كل فصيلة، فليس من السهل شرح حقيقة روح الجماعات، لان الفرد لا يحي حياة واحدة لا تتغير الا في القصص والروايات، وإن جميع القوى المدركة استعداداً لتوليد اخلاق جديدة تظهر إذا تغيرت البيئة تغيراً فجائيا، ويورد غوستاف لوبون مثال عن رجال الثورة الفرنسية الذين كانوا كالوحوش الضارية أثناء الثورة، وفي زمن السلم تحولوا إلى قضاة ومن قوى الفضل أو موثقين كان لنابليون منهم اعوان مخلصون.

٢-الصفات النفسية للجماعات: وجود روح عامة تحول جميع أفرادها يشعرون ويفكرون ويعملون بكيفية تخالف تمام المخالفة لكيفية التي يشعر ويفكر ويعمل بها كل واحد منهم على انفراده، ذلك لان للحوادث اللاشعورية. في حركة الإدراك الشأن الأول كما انها كذلك في الحياة الجسمانية، وإن حياة النفس الشاعرة ليست الا شيء يسير بجانب حياتها اللاشعورية، بل إن حركتنا المقصورة لنا أو الشعورية مسببة عن مجموع أسباب لا شعورية متولدة على الأخص من تأثير الوراثة فينا، وهذه الجموع تشمل على بقايا الآباء والجدود التي لا يحصيها العدو، ومنها تتألف روح الشعب أو روح الأمة التي نحن منها.

(63) انجلز، ص١٠ – ص١٢

(64) انجلز، ١٩٥٧/٤/١٦م،

(65) لوبون، ٢٠١٧، ص٣١. ص٣٨.

رابعًا خصائص الجماعات

يسرد غوستاف لوبون خصائص الجماعات ويصفها على النحو التالي: –

أ– قابلية الجماعة للاندفاع والتقلب والعصر: في صفات الجماعة الأولية أنها منقادة عادة إلى العمل من دون أن تشعر بالدافع فتأثير المجموع العصبي في أفعالها أكبر جدا من تأثير المخ، وهي بذلك تشبه كثيرا الرجل الفطري، وقد تكون الأفعال التي تصدر عنها كاملة من حيث التنفيذ، الا أن العقل لم يكن رائدها، بل أن الفرد في الجماعة يعمل طوعاً للمؤثرات التي تدفعها إلى الفعل، وهذا هو السبب في أنها تتنقل فجأة من افظع الأعمال إلى اكبرها، فما أسهل ما تصير الجماعة جلادة ولكن ما ايسر ما تكون ضحية أيضاً، وما سالت الدماء التي اقتضتها تأييد كل عقيدة في الوجود إلا من بطون الجماعات، وشدة تقلب الجماعات يجعل قيادتها اصعب على من يزاوله خصوصا إذا وقع في يدها قسط من السلطة العامة.

ب– قابلية الجماعة للتأثر والتصديق: ان من أخص صفات الجماعة قابليتها الشديدة لتأثر، ومتى ظهرت على الجماعات شارات الهدوء والسكون ، فأنها على الدوام في حالة انتظار واستعداد يجعل التأثير فيها سهلاً، فأول موثر يبدو تراه يخضعها لحينه بامتداد عدواه إلى رؤوس الكل وفي الحال يحصل اتجاه الجميع نحو الغرض المقصود وسواء كان الغرض احراق قصر أو اتيان عمل كريم فأنها تندفع نحوه بسهولة واحدة، حيث أن سرعة تصديق الجماعة ليس هو السبب الوحيد في اختراع الاقاصيص التي تنتشر بسرعة بين الناس بل لذلك سبب آخر وهو التشويه الذي يعتور الحوادث في مخيلة المجتمعين بلا إبطاء لأن الجماعة تفكر بواسطة التخيلات وكل تخيل يجر إلى تخيلات ليس بينها أدني علاقة معقولة اما كيفية التأثير في تخيل الجماعة لا يكون بمخاطبة الادراك والعقل، بل المؤثر هو كيفية وقوعها وتمثيلها، ومن عرف كيف يؤثر في الجماعات عرف كيف يقودها .

*** الأوهام السياسية وتداعياتها على حياة المجتمعات والأمم**

أولاً: الأوهام السياسية كأحد العناصر التي تنحل بها حياة الامم

ثانياً: أسباب زوال المعتقدات السياسية

ذهب غوستاف لوبون في تفسيره للعناصر التي تنحل بها حياة الأمم والشعوب، وتوصل إلى أن انهيار الأمم هو نهاية وجود المجتمعات البشرية ونهاية استقرارها، واكبر حوادث التاريخ انتجت أعظم الآثار وأقوى المدنيات والنظامات السياسية والتدبيرات الاجتماعية، في ظل عجز العقل عن تكوين وتطوير المعتقدات السياسية حيث يتم تصحيح بعض الأوهام السياسية ، والدليل على ذلك لا يزال الكثير من الكُتاب يرون في كُتب فرانسوا مارى فولتير marie Voltair Fraricqis (١٦٩٤م –١٧٧٨م) وجان جاك روسو Jean Jacques Rousseau (١٧١٢ م – ١٧٧٨ م) وغيرهم زلزلة الإيمان في نفس المؤمن حول دور الثورة الفرنسية فمن المشكوك فيه ان تحول جميع كتبهم مؤمنًا واحد إلى مُلحد وكانت هذه المؤلفات لتؤثر في النفوس.

يؤكد غوستاف لوبون في هذا السياق على ضرورة عدم معارضة المعتقدات السياسية القديمة بالمعتقدات الماضية لسببين: – [66](لوبون ،٢٠١٧م، ص١٣٤.ص١٣٥): –

(66) لوبون ،٢٠١٧م ، ص١٣٤.ص١٣٥.

١- السبب الأول: إن الأوهام الصغيرة الباطلة المصاحبة للوهم القديم هي فالأصل نشأت عن وهم ابدى ثابت، حافظ على تأثيره وفاعليته منذ بدء العالم والزمان ولم يتلاشى بعد، ولو لم يهيمن منه على الشعوب وقادتها لتغير مجرى التاريخ.

٢- والسبب الثاني: لأن المعتقدات السياسية الماضية لا يعود شابها إليها، وما كانت - الاضطهادات لتؤدي إلى غير تقويتها. ويلخص لوبون المبادئ النفسية التي تسيطر على نشوء المعتقدات السياسية وهي كالتالي: -

١- ان الحاجة إلى معتقد لتوجيه الأفكار والسير هو من التجبر والقوة كالحب والجوع.

٢- لا تقوم المعتقدات السياسية على العقل، ولا يمكن ان تزول إلا بالعقل

٣- تقوم المعتقدات بالتلقين المشتق من النفوذ والتوليد والتكرار، وتعد العدوى النفسية أهم وسيلة لانتشارها.

ويستطرد غوستاف لوبون مناقشة لنفوذ الأوهام السياسية ويبين لنا ان الأوهام التي تميل للقيام مقام الأوهام القديمة هي مثل الشيء الغير حقيقي الذي يمثل في التاريخ دوراً له من الأهمية ما للحقيقي. فبتأثير غير الحقيقي ظهرت حضارات عظيمة من العدم وآلت اخرى إلى العدم، فغير الحقيقي أنعم على الإنسان بوهم في السعادة الأبدية التي لا تمنحه الطبيعة القاسية إياها، ولولا قدرته لظلت البشرية غائصة في وحشية خالدة.

ثالثًا: امثلة على نفوذ الأوهام السياسية في التاريخ: (67) (لوبون،٢٠١٧م، ص١٣٤.ص١٣٥).

يطرح غوستاف لوبون أمثلة من التاريخ تُبين تأثير الأوهام السياسية وتداعياتها على سير الحوادث سواء أكان ذلك التأثير محموداً أو مشئوماً، منها ذلك الوهم الذي ألقاه نابليون في الامة، فأوجب صعود ابن أخيه على عرش الإمبراطورية، وانكسار الفرنسيس في معركة (سيدان)، مما يدل على أن الأوهام السياسية اوجدت آمالا معدية ومنحت الإنسان قوة سير لم يؤد إليها أي عمل عقلي، فظهر غير الحقيقي موجب لثيرا للحقيقي.

ويبرر غوستاف لوبون سبب زيادة الفوضى بين الجموع، ويرى بأن عامل الخوف هو الذي يحدث في النفوس الفوضى والاضطراب والأوهام وبين كيف تم استغلاله من قبل اقطاب السياسة الفرنسيين فيقول في هذا الصدد : " زعماء الوقت الحاضر كثيرو الخطر بما يسببونه من الحوادث والافعال وبما يبذرونه في نفوس الشعب من المبادئ المؤدية إلى نشوب ثورات ، عندما تنضج هذه المبادئ وما كان في ريب من ذلك فليتذكر دور " الكومون" الذي اوجب حرق قسم من العاصمة ليرى ما تؤول إليه الجماعات عندما تحركها الخطب الخادعة .." ويستلهم غوستاف لوبون نتائج مهمة وجوهرية في هذا السياق من حديث حيث يقول : " يعلم اكابر الزعماء كنه الروح الشعبية فيعرفون كيف يعالجون مفاجآتها ، وهم على عكس بسطاء الساسة الذين يصبحون حيارى في اثناء تقلباتها فلا يفعل منطقهم العقلي اللاتيني والخوف يبخسه سوى حملهم على وضع قوانين عريقة في الوهم منذرة بالبؤس مهددة صناعتنا وتجارتنا بالخراب ويختتم غوستاف لوبون وجهة نظره بتبيان أن هذه الاحداث هي نتاج اغاليط عدت حقائق مثلت دوراً في حياة الشعوب حلت محل الحقائق الأكثر استقراراً ويستشهد هنا بقول تارد:" تتشابه الجماعات بالأوصاف الآتية :عدم التسامح الشديد والزهو الغريب الكبيرة،

(67))لوبون ،٢٠١٧م ، ص١٣٤.ص١٣٥

والانفعال الكبير وعدم تحمل التبعة الناشئ عن وهمها بقدرتها العظيمة وعن عدم رؤيتها ولا وسط عندها بين اللعن والعبادة وبين الخوف والحماسة بين الرفع والخفض" . [68] (لوبون ،٢٠١٧م، ص١٣٤.ص١٣٥)

ويستطرد في نهاية الطرح بأنه إذا كان قد امكن مجتمعنا ان يدوم على الرغم من الفوضى الغارق فيها، فذلك لأن الأوهام تمثل دوراً بالغ الاهمية في التطور الحديث كما في الماضي، والأن الأوهام تمثل دورا بالغ الأهمية في التطور الحديث كما في الماضي وما فتئت هذه الملكة الحقيقية للتاريخ والمسيطرة على الأفكار والعزائم تسود العالم ويقوم تفسير الأوهام التي ساست الأمم في الماضي، على نتائج مصارعتها للضرورات التابعة لطبيعة الأمور لا لإرادة الرجال.

*** الخاتمة**

يمكن القول في هذه الخاتمة أن البحث قد وصل إلى جزء من هدفه والمتمثل في تتبع فكرة الأوهام السياسية لديّ غوستاف لوبون وفي الختام يمكن إجمال بعض النتائج:-

١- ان ما اتي به غوستاف لوبون من البحث الدقيق في مؤلفاته: (فلسفة التاريخ)، (روح السياسة)، (فلسفة الحضارة) مكنه من إيضاح بعض الأمور العظيمة والتي ظلت غامضة، حتى استطاع ان يوضحها من خلال ما تم عرضه في هذا البحث، حيث حدد غوستاف لوبون المرتكزات التي تنحل بها حياة الامم، واعتبر ان الأوهام السياسية هي أحدها ونحن في هذه الدراسة تناولنا ماهية الأوهام، والأوهام السياسية بشيء من التفصيل، كما سبق واشرنا بأن الهدف من هذه الدراسة هو تقديم قراءة فلسفية عن الأوهام السياسية في فلسفة غوستاف لوبون السياسية.

٢- أكد غوستاف لوبون بأن الأوهام تكتنفنا منذ عهد الطفولة ونحن لا نعيش إلا بالأوهام ولا نتبع سوى الأوهام وأنها مرتكز أساسي في حياة الأفراد والشعوب.

٣- وضح غوستاف لوبون الأوهام السياسية، ورأي بأنها تنشأ نتيجة حدوث صراع كبير في الأفكار والتصورات والمعتقدات هذا الصراع يتم بين مختلف المثل العليا القادرة على توجيه حياه الشعوب، ولا تدوم هذه الأوهام في كل وقت، وهي تخسر سلطانها على النفوس في اخر الامر لأن الأوهام القديمة المصاحبة لمثل العليا سوف تصطرع مع الأوهام الجديدة التي حافظت على نفوذها فترة من الزمن بسبب الوارثة.

٣- لم تجد الباحثة دراسة سابقة تتناول الأوهام السياسية، وان غوستاف لوبون تفرد عن غيره فكان الأسبق في تناول الأوهام السياسية، رغم أن هناك فلاسفة تناولوا الأوهام مثل افلاطون القديس أوغسطين –فرانسيس بيكون –باشلار.

٤- إن هذه الدراسة تناولت التطور التاريخي لحياة الأمم صفاتها وخصائصها من ثم تطرقت لمدى تأثير الأوهام السياسية في انحطاطها واضمحلالها.

*** المراجع**

اولاً- المراجع العربية

ابن خلدون – عبدالرحمن، المقدمة، ط١(دار الحرك للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩١٦م)1

ابن منظور–، لسان العرب، ط١ (دار الجوزي، القاهرة، دار العلم الملايين، ١٤٢٦و.ر، ٢٠١٥م).

انجلز- فردريك، اصل العائلة الملكية الخاصة والدولة، ـــ ترجمة: أحمد عز العرب، د. ط(دار الطباعة الحديثة، (١٩٥٧/٤/١٦م) .

)لوبون ،٢٠١٧م ، ص١٣٤.ص١٣٥ (68)

أفلاطون، الجمهورية، ترجمة: الخباز- حنا، د. ط (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٢٩م) .4

بدوي- عبدالرحمن، موسوعة الفلسفة، ط١(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤م)

البعلبكي — منير، المورد (قاموس انجليزي، عربي)، ط.٣٠ (دار العلم الملايين، ١٩٩٦م)

بيكون - فرنسيس، الارغانون الجديد، او الوسيلة الجديدة لاكتساب المعرفة، ترجمة: مندر محمود، ط١(دار الفرزدق للطباعة والنشر، سوريا ،٢٠١٦م)

الجرجاني- علي بن محمد الشريف، التعريفات، د. ط (مكتبة سماحة رياض الصلح، بيروت، لبنان ١٩٨٥)

الخازن - منير وهيبه، معجم مصطلحات علم النفس، د. ط (مطابع سيما، بيروت، د.ت)

الزبيدي - محمد مرتضي الحسيني، تاج العروس، د. ط (مكتبة الكويت، ١٤٠٦ و. ر\١٩٨٥).

الكيالي، عبدالوهاب (٢٠٠١م)، موسوعة السياسة، (دار الفارس للنشر والتوزيع والإعلان، عمان) ج٢

محمود بن عمر، أساس البلاغة، ط١، (المطبعة الوهبية، ١٣٩٩و.ر، ١٨٨٣م) ج ١.

الشقيري - فايز بن علي: غوستاف لوبون، ط١ (المركز الثقافي لكتاب الدار البيضاء، المغرب، ٢٠١٩).

صليبا — جميل: المعجم الفلسفي، د. ط (دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان ١٩٨٢م) ج١

طاليس- ارسطو، السياسة، ترجمة: أحمد لطفي السيد، ط١، (الهيئة المصرية العامة لكتاب، ١٩٧٩م)

غربال- شفيق محمد، الموسوعة العربية الميسرة، د. ط (دار القلم مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٩ م)

الفارابي - أبو النصر، آراء أهل المدينة الفاضلة، د. ط (دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م).

القديس أوريليوس - أوغسطين، مدينة الله، نقلة على العربية: الخور الاسقف: الحلو- يوحنا، ط٢ (دار المشرق، بيروت، ٢٠٠٦)

لالاند -اندريه موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، د. ط (اعويدات للنشر والطباعة، بيروت للبنان، ٢٠٠٨م) ج٢.

لوبون -غوستاف، اختلال التوازن العالمي، نقلة إلى العربية: صلاح الدين وصفي، (مطبعة العرب للبستاني، مصر، ١٩٢٨م)

الآراء المعتقدات، ترجمة: عادل زعيتر، ط١. (المؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٢ م).

روح الاجتماع، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، د. ط (مطابع الشعب بمصر ،١٩٠٩م).

روح السياسة، ترجمة: عادل زعيتر، د. ط (مؤسسة هنداوي، بيروت لبنان، ٢٠١٦م).

سر تطور الأمم، ترجمة: أحمد فتحي زغلول، ط.١(المكتبة التجارية، مصر،١٩٢٠م).

فلسفة التاريخ، ترجمة: عادل زعيتر، د. ط (مؤسسة هنداوي، ١٩٥٤م).

٢٦ماركس- كارل: مخطوطات كارل ماركس لعام ١٨٤٤م، ترجمة: مستخيرة - أمحمد د. ط (دار الثقافة الجديدة، لقاهرة، ١٩٧٥م)

مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط٤ (مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ١٤٢٦ و. ر ٢٠٠٥ م)

يودين — روزنتتال، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم (الإدارة الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤م).

عبد القادر محمد علي – ما هر، نظرية المعرفة العلمية، د. ط (دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، البنان، ١٩٨٥م).

عويضة – كامل محمد، فرنسيس بيكون، ط.١(دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٤١٣و.ر، ١٩٩٣م)

ثانياً– المراجع الأجنبية

Benoit Marpeau, Gustave Le Bon, parcours d` un intellectual (1841-1931) cnrs, Edition Paris 2000)

https//://Search.emarefa.net